

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

بالمرة الواحدة فتقومُ الخشبة في هذا الإيماء وهذه الإشارة مقامَ جارحة ابن آدم في الإشارة بها في المواضع وكما أن الإنسان أيضاً قد يجوزُ إذا أراد المواضع أن يشير بخشبةٍ نحو المراد المتواضع عليه فيقيمها في ذلك مقامَ يده لو أراد الإيماء بها نحوه .

فلم يُجب عن هذا بأكثرَ من الاعتراف بوجوبه ولم يخرج من جهته شيء أصلاً فأحكيه عنه وهو عندي (و) على ما تراه الآن لازمٌ لمن قال بامتناع كون مواضع القديم تعالى لغةً مُرّجلة غير ناقله لساناً إلى لسان فاعرف ذلك .

وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدويّ الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الطيبي ونحو ذلك . ثم ولدت اللغاتُ عن ذلك فيما بعد . وهذا عندي وجهٌ صالح ومذهبٌ متّقدِّبٌ .

واعلم فيما بعد أنني على تَقَادِمِ الوقت دائمٌ التَّذْكيرِ والبحثِ عن هذا الموضوع فأجد الدَّواعي والخوارج قويّة التَّجاذبِ لي مختلفةً جهات التَّغَوْلِ على فكري وذلك (أنني) إذا تأملتُ حالَ هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقّة الإرهاف والرّقّة ما يملك عليّ جانب الفكر حتى يكاد يطمحُ به أمامَ غلاوة السُّحْرِ فمن ذلك ما نَبَّهَ عليه أصحابنا (رحمهم اللّهُ) ومنه ما حَذَّوْهُ على أمثلتهم فعرفت بتتّابُعِهِ وانزُقِيادِهِ وبُعْدِ مَرَامِيهِ وآمادِهِ صِحّةَ ما وُفِّقُوا لتقديمه منه ولطُفِ ما أُسْعِدُوا به وفُزِقَ لَهُمَ عنه وانزُضَّافِ إلى ذلك واردة الأخبار المأثورة بأنها من عند اللّهِ تعالى فَتَقَوِيّ في نفسي اعتقادٌ كونها توقيفاً من اللّهِ سبحانه وأنها وحيٌ . ثم أقول في ضد هذا : (إنه) كما وقع لأصحابنا ولنا وتَنَدَّبُ هَوا .

وتنبهنا على تأمُّلِ هذه الحكمة الرائعة الباهرة كذلك لا ننكر أن يكونَ اللّهُ تعالى قد خَلَقَ مِن قَبْلِنَا وَإِنْ بَعْدَ مَدَاهُ عِنْدًا مَنْ كَانَ أَلْطَفَ مِنَّا أَذْهَانًا وَأَسْرَعَ خَوَاطِرَ وَأَجْرًا جَنَانًا فَأَقْف